النشاط الفدائي بمدينة سطيف 1954م-1962م.

The guerrilla (Fedayeen) activity in the city of Sétif 1954-1962.

زروق فاروق – طالب دكتوراه farouk.zerrouk@univ-constantine2.dz	تاريخ معاصر	جامعة عبد الحميد مهري –قسنطينة 2/ الجزائر. مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي
موسى لوصيف – أستاذ التعليم العالي moussa.loucif@univ-constantine2.dz	تاريخ معاصر	جامعة عبد الحميد مهري –قسنطينة 2/ الجزائر.

DOI :

الإرسال: 2023/03/30 **القبول**: 2023/12/31 **النشر**: 2024/01/13

ملخص:

إمتازت الثورة الجزائرية بطابعها التكتيكي والتنظيمي الذي ينسجم وتطورات الوضع وكذا الإمكانيات المتاحة لها إلى جانب شمولية العمل العسكري لكل التراب الوطني، وهذا في مواجهة المخططات الاستعمارية وقواتها الكبيرة وحملاتها الدعائية والإعلامية المزيفة والمغرضة وسط الشعب الجزائري، فكان العمل الفدائي الذي اختصت به المدن إحدى الإستراتيجيات المهمة التي راهنت عليها قيادة جبهة التحرير الوطني في مواجهة ذلك وأثبت فعاليته ونجاعته فيما بعد، رغم العقبات والصعوبات التي طالته في مراحل محددة من الكفاح الثوري

أين نحاول في هذه الدراسة الإطلاع على الجوانب العامة والمعالم الأساسية لهذا النشاط بمدينة سطيف، من خلال تحديد عملية تكوين وتنظيم الخلايا الفدائية، والأهداف التي ركزت عليها، وكذا تطور هذا النشاط من خلال تتبع وعرض لأبرز العمليات الفدائية التي شهدتها المدينة، والنتائج التي تمكنت من تحقيقها في الميدان السياسي والعسكري.

كلمات مفتاحية: الفدائي ؛ مدينة سطيف؛ خلايا فدائية؛ السعيد بوخريصة؛ فرق إدارية مختصة.

Abstract:

The Algerian revolution was characterized by its tactical nature and the comprehensiveness of military action across the entire national territory, and this is in the face of colonial plans and its large forces, in addition to its fake propaganda and media campaigns, as the guerrilla action inside the cities was one of the important strategies that the leadership of the National Liberation Front (FLN) bet on in its struggle.

Through this study, we tried to shed light on the aspects of this activity in the city of Setif by defining the process of forming and organizing the guerrilla cells,

المؤلف المراسل: زروق فاروق البريد الإلكتروني: farouk.zerrouk@univ-constantine2.dz

and the goals that they focused on, as well as the development of this activity by tracking and presenting the most prominent guerrilla operations that the city witnessed, and the achieved results in the political and military field.

Keywords : guerrilla؛ Setif city؛ guerrilla cells؛ Said Boukrisaa؛ competent administrative tearms.

مقدمة:

أخذت الثورة الجزائرية المباركة طابع الشمولية وهذا عبر مشاركة كافة مناطق الوطن في الكفاح المسلح، وهو الشيء الذي ركزت عليه قيادة الثورة في اجتماعاتها وتحضيراتها التي سبقت ليلة أول نوفمبر1954م، عبر الإعداد المحكم للعمليات العسكرية والترتيب الدقيق الذي أخضع له التنظيم الإداري للقطر الجزائري، وهذا بتقسيمه إلى خمسة مناطق من أجل تعميم العمل الثوري كسبيل أنجع في مجابهة القوات الفرنسية والعمل دون إتاحة لها فرصة التمركز في منطقة محددة، إلى جانب إشعارها بأنها ثورة منظمة تستند إلى تخطيط محكم وتنظيم مسبق، وفي نفس الوقت حملت رسالة إلى الشعب الجزائري مفادها بأنها ثورته ونجاحها مقترن باحتضانه لها في كل مكان من ربوع الوطن، سواء في الأرياف والجبال وحتى المدن، فجاء النشاط الفدائي الذي اختصت به المدن والمراكز الحضرية كمرحلة لتوطيد وترسيخ العمل والفكر الثوري بالجزائر، وهو ما أبانت عليه مدينة سطيف التي ستكون محور لدراستنا هذه طيلة المسار الثوري، أين أظهر فدائيوها كفاءة ودقة تنظيميا وعملياً، انطلاقا من الإشكالية التي نعالج فيها التنظيم والنشاط الفدائي بمدينة سطيف وأبرز المراحل التي عرفها خلال الثورة التحريرية.

وتماشيا مع أهمية الموضوع فإننا نسعى لمعرفة واستجلاء أهم المحطات الأساسية لهذا النشاط بمدينة سطيف كعينة ونموذج لذلك، وفق منهج تحليلي تاريخي مرتبط بمسار العمل الفدائي داخل المدينة أمام التطورات التي عرفتها الثورة الجزائرية عموما، وهذا من منطلق مسايرة الأوضاع والمستجدات الحاصلة ميدانيا، وارتكزت هذه الدراسة على الأبحاث التي أُفردت لهذا الميدان مثل مذكرات الفاعلين الأساسيين في هذا النشاط إلى جانب الدراسات التي خصصت للمنطقة والعمل الفدائي بها، لذا واستنادا لهذه المعطيات فإننا نهدف من وراء موضوعنا هذا إلى إعطاء صورة عامة عن ديناميكية النشاط الفدائي في المدينة بطريقة أكاديمية علمية إثراءً للتاريخ المحلي و للثورة الجزائرية بصفة عامة.

2-التنظيم الإداري لمدينة سطيف خلال الثورة التحريرية1954م-1962م.

ربط التقسيم الجغرافي للثورة التحريرية منطقة سطيف بثلاث ولايات تاريخية، فجزءها الجنوبي انطلاقا من خط السكة الحديدية هو امتداد للولاية الأولى (أوراس النمامشة)، أما الجزء الشرقي منها فللولاية الثانية (الشمال القسنطيني)، في حين أن الجزء الشمالي الغربي منها فتابع للولاية الثالثة (القبائل)، انطلاقا من الطريق الرابط بين مدينة سطيف وبجاية، أما بالنسبة لمدينة سطيف فقد كانت تابعة للولاية الثالثة (القبائل) المنطقة الأولى إلى جانب الأقاليم المجاورة لها شرقا كبوقاعة وعين الروى، وفي مؤتمر الصومام 20أوت1956م طُلب من مناضلي المدينة مساعدة الولايتين الأولى والثانية، وقد استمرت المدينة تحت إشراف الولاية الثالثة إلى غاية اجتماع العقداء من 06 إلى 12ديسمبر1958م أين طلب العقيد الحاج لخضر من العقيد عميروش أن يتنازل له عن المدينة بحكم أن الولاية الأولى فقدت بعض مدنها الكبرى على غرار بسكرة التي ضمت إلى الولاية السادسة التاريخية (الصحراء) التي استحدثت بعد مؤتمر الصومام والتي كان يقودها السي الحواس وكذا جزء من مناطقها الشرقية على الحدود التونسية بعد استحداث كذلك القاعدة الشرقية(لوصيف، 2018، صفحة 29)، وبحكم موقعها الإستراتيجي أبانت المنطقة عن دور كبير عسكريا إلى جانب الدعم اللوجستي والتمويني الذي وفرته،كما تمكنت وإلى حد بعيد من إحداث تنسيق محكم بين الولايات التاريخية الثلاثة ،إضافة إلى أن هذا الجانب أهلها لتحمل ثقل المسؤولية الملقاة حولها والعمل على مواكبة التطورات العسكرية سواء من جانب مسؤولي جيش التحرير أو عبر إفشال المخططات الفرنسية الرامية إلى خنق الثورة وتقليص مجالها الجغرافي، ومن هنا اختصت المدينة بالعمل والنشاط الفدائي ضمن الإستراتيجية العسكرية التي أقرتها قيادة الثورة التحريرية وراهنت على نجاحها، بما يسمح بتجسيد المشروع الثوري وتحقيق الأهداف المسطرة التي حملها بيان أول نوفمبر 1954م.

3-العمل الفدائي:

3-01الفدائي:

تطلق كلمة فدائي على الفرد الذي تكلفه الثورة القيام بمهمة يصعب على جيش التحرير القيام بها، فهي تختص بالمدن حيث ترتكز مؤسسات الاستعمار ومصالحه، ومن خصائص الفدائي أنه لا يرتدي الزي العسكري إذ يكتفي بالزي المدني حتى يتسنى له التوغل وسط الشعب وعدم لفت انتباه القوات الفرنسية و أعوانها أو إثارة الشبهة، وفي نفس الوقت يسهل عليه التسلل داخل المدينة والخروج منها بعد أداء مهمته بسلام، ومن خصائصه كذلك الشجاعة والإقدام والتضحية بالنفس والنفيس دون حسابات أو تردد، ومنه فالفدائيون طاقة كفاح مسلحة في المدن والعواصم والمناطق الحضرية وامتداد لكفاح المجاهدين وعناصر جيش التحرير في الجبال والأرياف(حفظ الله، 2008، صفحة 212).

3-02العمل الفدائي:

هو أسلوب من أساليب الكفاح العسكري فرضته طبيعة الثورة بمختلف جبهاتها، وهذا لمجاراة العدو بفرض منطق المعارك والحرب في كل مكان يتواجد فيه، ويخضع هذا العمل إلى تخطيط وتنسيق بين وحداته بما يسمح له من مباشرة مهامه على أسس ومعالم محددة ومضبوطة تتلائم والظروف المحيطة به، وتأخذ بعين الاعتبار كل الصعوبات والمخاطر المحدقة به(عبد الله، 2017، صفحة 43) ، ومن شروط العمل الفدائي السرية والحذر الدائم والتخطيط المسبق الذي يلازم العملية الفدائية وتحديد الأهداف والسرعة في تنفيذها، كما يختص بعنصر المفاجئة والمباغتة، وهذا للوصول إلى الأهداف المرجوة والتمكن من تحقيق المهمة بنجاح، ويأخذ التنظيم الفدائي في الحسبان عامل السرية والدقة في النشاط، إذ تحتفظ كل خلية بسريتها سواء في اجتماعاتها و نشاطها أو أثناء تنفيذ عملياتها(بوصفصاف، مدونة الفداء إبان الثورة التحريرية الجزائرية بولاية سطيف1954م-1962م، 2007، صفحة 45)، ويخضع العمل الفدائي للهيكلة والتنظيم وهما عاملان أساسيان يتوقف عليهما نجاح النشاط واستمراريته، وحتى يحدث هناك تنسيق يتوجب تقسيم الفدائيين إلى خلايا ومجموعات صغيرة، لكون أن هذا الأخير محدد بعملية يتولاها من شخص إلى ثلاثة وفقط(كافي، 1999، صفحة 189).

3 -03أهمية العمل الفدائي:

العمل الفدائي موجه أساسا لإستهداف ضباط الجيش الفرنسي وغلاة المعمرين وكبار العملاء والمراكز الاقتصادية والحيوية للأوربيين، وبالتالي فهو ليس الدخول في معارك مباشرة ضد قوات الاحتلال داخل المدن والتي لا تتناسب وإمكانيات الثورة ولا تتوافق وإستراتيجيتها، إذ أن توجه قيادة الثورة لهذا الأسلوب العسكري مبني أساسا على دراسة ميدانية و رؤية عسكرية، الشيء الذي يعطي الكفاح التحريري دفعا كبيرا ويترك أثرا في نفوس المستوطنين وخسائر في صفوف العدو، إضافة إلى العامل الإيجابي الذي تتركه هذه العمليات لدى الشعب أين تبث فيه روح الانتصار وتعزز ارتباطه بثورته وقضيته الجوهرية، وفي هذا السياق وأمام الضغط وحالة الحصار الذي عاشه المجاهدون في الجبال خلال السنوات الأولى من عمر الثورة، لاسيما بعد تعميم حالة الطوارئ ووصول جاك سوستال للحكم في فيفري 1955م، كان اللجوء إلى العمل الفدائي وتفعيله بشكل مكثف ومباشر خيارا أمثل لقيادة الثورة بالمدن(الزبيري، 1984، صفحة 104)، وهنا جاءت هجومات الشمال القسنطيني بتاريخ 20أوت1955م تجسيدا لهذا المسعى، وكبداية لمرحلة تأخذ فيها المدينة زمام المبادرة في العمليات الفدائية، وكذا النزول بالثورة إلى الشارع لتصبح ثورة الجماهير لا ثورة فئة من الشعب عكس ما تحاول الإدارة الفرنسية الترويج له، عبر إشراك كل الجزائريين ومناطق هذا الوطن في الكفاح بما في ذلك المدن من خلال خلايا فدائية مؤهلة لهذا الدور، وعناصر معدة ومهيكلة لهذا النوع من الكفاح(بومالي، 1985، صفحة 209) .

كما تهدف قيادة الثورة من وراء هذا الأخير إلى تحقيق أهداف إستراتيجية عسكرية تكمن في فك الحصار المضروب على الجبال عبر تشتيت قوات العدو والدفع به لحماية مراكزه ومقراته العسكرية منها والاقتصادية، وفي الجهة المقابلة خلق مجال لتحرك وانتقال وحدات جيش التحرير في الجبال وساحات القتال لاسترجاع أنفاسها وإعادة ترتيب أمورها تسليحا وتموينا(كرم، 1969، صفحة 172)، وبالتالي فالعمل الفدائي ضروري في مثل هكذا معارك أين تبرز الفوارق من حيث الإمكانيات وصعوبة المواجهات المباشرة بين جيش التحرير وقوات العدو، فكان العمل الفدائي أو حرب المدن أحد المرتكزات التي اعتمدتها الثورة في إحداث التوازن وخيارا فرضته طبيعة الحرب بإختلاف وتباين موازين القوى بين

الطرفين(بوصفصاف، مدونة الفداء إبان الثورة التحريرية الجزائرية بولاية سطيف1954م-1962م، 2007، صفحة 44).

4-التنظيم والنشاط الفدائي بالمدينة:

شكلت مدينة سطيف مجالا فسيحا للثورة التحريرية وهذا بفضل رجالها المخلصين الذين وهبوا حياتهم للجزائر والثورة شأن كل الجزائريين الذين اصطفوا خلفها، إضافة إلى التمركز الكبير للمؤسسات الفرنسية والمراكز العسكرية بها واستقطابها لأعداد كبيرة من المستوطنين والمعمرين، الشيء الذي جعلها مرمى أمام الفدائيين الذين كثفوا من هجماتهم ضد كل ما له علاقة بالإدارة الاستعمارية، وضد الثورة التحريرية وإرادة الشعب سواء، إذ أحصت مدينة سطيف خلال سنوات الثورة (1954م-1962م)ما يزيد عن 292عملية عسكرية، ما يدفعنا للتأكيد على أن مدينة سطيف لم تشذ على باقي المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة في احتضان العمل الفدائي وفتح جبهة من العمل المسلح أرهقت به القوات الفرنسية عملا بتعليمات قيادة جبهة التحرير الوطني في مد الثورة نحو كل مناطق الوطن و دّك حصون العدو ومقراته(غرزولي، 2009، صفحة 29)، وباعتبار منطقة سطيف نقطة فاصلة بين الولايات التاريخية الثلاثة فإنها عرفت مشاركة مجاهدي هذه الولايات في تنفيذ العمليات الفدائية والنشاط داخل المدينة من منطلق أنها امتداد لمجالهم الجغرافي، وفي غالب الأحيان يكون هناك تنسيق بين هذه الوحدات، مؤسسين بذلك لمحيط فدائي كبير ونشاط متواصل وفعال، مما صعب على القوات الفرنسية مجابهته والنيل منه، إذ ظل هذا النشاط على حركيته الدؤوبة وضرباته المحددة و التي أثارت استنفار السلطات الفرنسية طيلة سنوات الثورة.

تم تشكيل الخلايا الفدائية الأولى بمدينة سطيف بتاريخ 15نوفمبر1955م وهي المرحلة التي عرفت وصول الثورة إلى المنطقة بعد التحاق وحدات من جيش التحرير الوطني إليها كدومي لخضر وعرباوي عبد القادر اللذان كانا مسؤولين عسكريين في المنطقة الأولى (أوراس النمامشة) وبالضبط في جبال بوطالب وأولاد تبان جنوب سطيف، وقد ضمت الخلية الأولى كل من يوسف مدور وغرزولي الربيع وعمار حيمش ولخضر دراجي وآخرون، وكانت أول عملية فدائية للخلية في مدينة سطيف في 28 نوفمبر 1956م، إذ جاءت تعليمات تقضي بتصفية عميلين للاستعمار يعملان في سلك الشرطة كانت لهما

سوابق سيئة اتجاه المواطنين، لتكلل هذه المهمة بالنجاح وسط ثقة الفدائيين في مزيد من العمليات(غرزولي، 2009، صفحة 51)، لتتوالى بعدها العمليات ونشاط الخلية داخل المدينة، وفي إطار التنظيم الذي شهدته الثورة جاء قرار تعيين السعيد بوخريصة من قبل المسؤول العسكري للمنطقة الأولى (جنوب سطيف)مصطفى برحايل مسؤولا أولاً على العمليات الفدائية في مدينة سطيف ولخضر دراجي نائبا له، ليباشر بعدها السعيد بوخريصة نشاطه وفق تقسيم الخلايا الفدائية إلى وحدات لاسيما بعد التحاق وتجنيد أعضاء جدد بالتنظيم.

لقد أظهر السعيد بوخريصة خلال هذه الفترة نشاطا سياسيا وعسكريا كبيرا داخل المدينة مجسدا الإمكانيات والخبرات التي إكتسبها طيلة مساره النضالي في الحركة الوطنية والمنظمة الخاصة ، فالمهارة الفائقة التي أبان عنها في ميدان التنظيم والتعبئة حاز بها على ثقة مسؤوليه الذين أسندوا له مسؤولية التنظيم الفدائي بالمدينة ووضع الهياكل النظامية لهذا النشاط(منشورات متحف المجاهد لولاية سطيف) .

-الخلايا الفدائية الأولى بمدينة سطيف –

الخلية الأولى	الخلية الثانية	الخلية الثالثة	الخلية الرابعة
السعيد بوخريصة	لخضر دراجي	رابح زغوان	فوضيل لبصير
لحسن قيدوم	زايدي مسعود	علاوة زروقي	لخضر الجودي
الربيع غرزولي	أحمد روابح	عبد الحميد ذهابة	عبد الرحمان صابري
عمار خنيش	عمار زواق	العيد حلمي	صالح مشرفي
أحمد صقيع	لأحمد جيلالي		
يوسف مدور	مسعود عباس		
العربي قلاتي	عبد القادر مهادنة		
نمير بعيع			

أما بلخصاي الجودي ومزعاش السعيد وعالم مختار فقد كان نشاطهم فردياً (التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية1959م-1962م، 1988، صفحة 26)، وقد سمح هذا التنظيم الذي أعده السعيد بوخريصة وكذا التنسيق بين الخلايا الفدائية بتكثيف وتزايد عدد العمليات داخل مدينة سطيف وكذا زيادة فعاليتها، فباتت هذه الأخيرة بذلك تحت سيطرة الفدائيين ، وما العدد الهائل والمسجل من العمليات العسكرية إلا دليل على حيويتهم وجرأتهم في خوض مثل هكذا حرب ومواجهة القوات الفرنسية في مراكزها، فما لبثت هذه الخلايا تنشط في الميدان إلا ودبّ الذعر والخوف في الإدارة الفرنسية وأعوانها من المستوطنين، جاعلة من سكون المدينة ساحة للمعركة التي لم يكونوا ليتوقعوا أن تصل إليهم أمام التحصينات الموجودة حولهم، كما كانت رسالة تنقل من خلالها معاناة الجزائريين في الجبال والأرياف أمام ما تشنه القوات الفرنسية من عمليات عسكرية يومية لا تستثني في ذلك السكان العزل، فهي إذن ردة فعل عليها تحت شعار جيش التحرير الوطني الذي ساقه من تجاربه النضالية وعمق نظرته الميدانية للعمل العسكري الذي باشره وهو" ضرب العدو في كل شبر من أرض الوطن"(بوصفصاف، مدونة الفداء إبان الثورة التحريرية الجزائرية بولاية سطيف1954م-1962م، 2007، صفحة 70).

يوميات الفداء بمدينة سطيف شهدت في الكثير من الأحيان تنفيذ أكثر من عملية في يوم واحد ولعل أبرزها هو ما تم تسجيله ليلة 12أوت 1961م، أين أحصت المدينة تنفيذ 4عمليات كاملة استهدفت فيها المؤسسات العسكرية ومراكز تجمع الفرنسيين، هي عمليات أصابت الإدارة الفرنسية في الصميم و العمق وأدخلتها في حالة من الذهول والخوف الدائم إلى جانب أعوانها وعملائها، كيف لا وكل ما له علاقة بالاستعمار أضحى ضمن مخططات و أهداف الخلايا الفدائية، ومن جملة ما ركزت عليه كذإضافة إلى المراكز الاستعمارية والاقتصادية هو تصفية المعمرين واستهداف أملاكهم ومنشآتهم، وهذا بالنظر لنشاطهم المناوئ للثورة التحريرية وكذا تجاوزاتهم اتجاه الشعب الجزائري، ليكونوا بذلك إحدى الأهداف التي ترصدتها الخلايا الفدائية في مدينة سطيف، ويمثل الهجوم على المستودع الكبير للمعمر إدوايس في شهر ماي من سنة 1956م إحداها، إذ كلف كل من الفدائي زروقي علي بمساعدة شرقي صالح وعبد الحميد ذهابة بالمهمة، متجاوزين في ذلك الإجراءات المشددة التي فرضتها السلطات الفرنسية و قد أحدث هذا التفجير خسائر

كبيرة به(بوصفصاف، مدونة الفداء إبان الثورة التحريرية الجزائرية بولاية سطيف1954م-1962م، 2007، صفحة 214) .

لقد خلف استهداف الخلايا الفدائية للمستوطنين أثارا نفسية أين أصبحوا هم أنفسهم والأملاك التي حازوا عليها بطرق غير قانونية عرضة للخطر أكثر من أي وقت مضى، فبيمنا شددت القوات الفرنسية من رقابتها على محيط المدينة وتوسيع عملياتها في الجبال والقرى لملاحقة عناصر جيش التحرير استمر النشاط الفدائي قائما رغم كل هذا، مما يثبت إصرار وعزيمة جيش التحرير في الميدان، وعلى أن هذا النشاط مبني على أسس قويمة أساسها الشعب الجزائري سنده وداعمه، هذا ولم يقتصر النشاط الفدائي على اغتيال داعمي الاستعمار فحسب، بل تعدى ذلك إلى استهداف البنى التحتية للعدو وتفجيرها وشل مصالحه والتي هي في حقيقتها امتداد للاستعمار بمفهومه الشامل، فمن ضمن ذلك تخريب أعمدة الهاتف والكهرباء وخزانات الماء والجسور وخطوط السكة الحديدية، ومن جملة ما طال هذه الأخيرة على كثرتها هو ما تعرض له خط السكة الحديدية المار قرب عين تبينت (وسط سطيف) من تخريب في أكتوبر 1958م مخلفا إتلاف كميات كبيرة من المحروقات، كما شهدت مسالك العدو والطرق الرئيسية للقوات الفرنسية خلال تنفيذها للعمليات العسكرية أو تلك التي تتخذها طريقا للتموين إلى عمليات تخريب وهجمات خاطفة مثلما حصل بتاريخ 25 مارس 1960م (التقرير الجهوي للولاية الأولى لأحداث الثورة التحريرية1959م-1962م، 1988، صفحة 546) .

تنوعت العمليات الفدائية بمدينة سطيف من تفجيرات وتخريب منشآت إلى تصفية خونة وضباط عسكريين ومن ذلك عملية أقدم عليها الفدائي حفيظ محمد رفقة مجموعة من الفدائيين في شهرأفريل1958م فبعد مراقبة مستمرة ودراسة ميدانية معمقة تم تصفية أحد جنود الحرس الإقليمي برصاصات مسدس بعد الاقتراب منه، وفي سرعة ودون انتظار تغاضى الفدائي عن الأنظار فاتحا المجال للسلطات الفرنسية على عادتها أين تلجأ بعد كل عملية على سد منافذ المدينة وتطويق الشوارع مع إخضاع كل المشبه فيهم إلى الاعتقال والتفتيش، وامتازت الخلايا الفدائية بمدينة سطيف بالجرأة والاندفاع نحو تنفيذ العمليات، أين لم يتوانى الفدائيون إلى جانب تفجير مراكز الاحتلال ومؤسساته وتصفية المعمرين أمام كل فرصة تتاح لهم اختطاف وأسر المعمرين وكبار العملاء، وهو ما

تم مع المعمرين برقاي و روكس أحد أكبر المعمرين بمدينة سطيف، ويعد الضابط العيد الضحوي أحد أبرز الفدائيين الذين نالوا بعمليات الخطف والأسر صيتا واسعا، بفضل شجاعته وبسالته(لمطاعي، 2014، صفحة 110)، وإلى جانب الرجال أنيط بالمرأة القيام بأعمال فدائية في حالات كان يصعب على الفدائيين القيام بها ومراكز يستعصي الولوج إليها، وكعينة عن هذه العمليات التي قامت بها المرأة في مدينة سطيف، هو إقدام الفدائيتين زادي عائشة وسعادنة ميمونة على وضع قنبلة زمنية في حديقة التسلية والترفيه الخاصة بالأوربيين، وقد أسفر انفجارها إصابة العديد بجروح متفاوتة الخطورة فيما تمكنت الفدائيتان من الانفلات بسلام، لتثبت المرأة بذلك على تواجدها الدائم في أي مكان وزمان بإقدام وهمة عالية، كما راهنت قيادة الثورة على المرأة في النشاط الفدائي لاسيما في المدينة فتم تجنيدها في نقل القنابل والمتفجرات ومراقبة العدو وتحركاته وترصد عملائه وأعوانه، وكذا التنسيق بين الخلايا الفدائية و وحدات جيش التحرير وقيادته، عبر حمل المراسلات السرية والأسلحة والذخيرة الحربية لتكون بذلك المرأة فدائية بامتياز تجسيدا لإستراتيجية الثورة في إشراك كافة الفئات الاجتماعية في العمل المسلح لبلوغ المبتغى المنشود(بوصفصاف، جهاد المرأة الجزائرية بولاية سطيف وتضحياتها الكبرى 1954م-1962م، 1997، صفحة 382).

إن إشراك المرأة الجزائرية في هذا النشاط يعود لاعتبارات عدة منها قدرتها على الوصول والولوج لمناطق وأهدف دقيقة وحساسة عبر اجتيازها لنقاط مراقبة يكون إسناد مثل هكذا عمليات لعناصر جيش التحرير صعبا للغاية، كما أن احتمال نسبة فشلها تكون قليلة خاصة بعد تكثيف نقاط التفتيش وتشديد الرقابة داخل المدينة والمراكز ذات الأهمية الكبير للإدارة الفرنسية، فإلى جانب العمل الفدائي داخل مدينة سطيف امتثل سكانها للنداء الذي رفعته قيادة جبهة التحرير الوطني إلى الإضراب العام في جميع أنحاء الوطن لمدة 8 أيام من 27جانفي 1957م إلى 03فيفري 1957م، وشمل هذا الإضراب التجار والموظفين والعمال أين لقي تجاوبا كبيرا من قبل الجزائريين الشيء الذي يؤكد تجند سكان المنطقة خلف الثورة، ما دفع السلطات الفرنسية إلى شن حملة توقيف في حق الجزائريين ومحاكمتهم (saadi, 1997, p. 11)، ففي مدينة سطيف اقتيد العديد من المناضلين بعد هذا الإضراب منهم الذوادي بوعود، وصفصاف محمد، وبحار عبد الحفيظ وآخرون إلى السجن، لتبرهن بذلك المدينة وساكنتها عن تطبيق صارم والتزام تام لتعاليم وقررات

القيادة (غرزولي، 2009، صفحة 65) وقد كانت الإجراءات الفرنسية بمدينة سطيف مماثلة لتلك التي حصلت بالجزائر العاصمة التي أسندت إلى الجنرال ماسو قائد فرقة المظليين العاشرة، إذ سادت حالة من الاعتقالات والمحاكمات والإعدامات وسط الجزائريين، دون تجاهل عمليات الاستنطاق التي تطال الموقوفين تحت طائلة التعذيب والقمع الوحشي في السجون ومراكز التعذيب.

إن الطابع الذي يغلب على مدينة سطيف من خلال التواجد الكثيف للقوات الفرنسية في المراكز الأمنية والثكنات العسكرية إلى جانب العيون التي تسهر على حماية مصالحها سواء من الكولون أو من الأهالي ممن باعوا ذمتهم للعدو لهو أمر صعب من مأمورية الخلايا الفدائية والتي بقدر ما كانت تولي أهمية للسرية والحذر في تحركاتها وتنفيذ عملياتها الفدائية، وتجنب كل ما من شأنه أن يثير الشبهات اتجاهها لاسيما من قبل أعوان الاستعمار، في هذا السياق فقد تحمل الفدائيون ملاحقة السلطات الفرنسية أمام كل عملية والتي سرعان ما تتبعها حملات تفتيش وتمشيط داخل المدينة بحثا عن منفذي العملية، وفي هذا الشأن سخرت الإدارة الفرنسية إمكانات كبيرة للحد من نشاط هذه الخلايا و إستيتاب الأمن في محيط المدينة، فقد بلغ عدد مراكز المصالح الإدارية المختصة (sas) بسطيف 7مراكز، كما انفردت بثلاثة معتقلات من جملة 16 معتقلا موزعة على كامل تراب المنطقة، إضافة إلى المحتشدات والسجون، وهو ما يوحي بتجدر الثورة بها وانتشارها (بوصفصاف، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف1954م-1962م، 1998، صفحة 148).

أمام هذه الإجراءات المشددة للقوات الفرنسية داخل مدينة سطيف وحملاتها العسكرية على نطاق المدينة حيث المعارك اليومية في الجبال والأرياف، والتي زادت حدتها وأمام المخطط الذي رسمته السلطات الفرنسية للقضاء على الثورة، تمكنت من تفكيك الخلايا الفدائية الأولى بالمدينة وهذا في أواخر سنة 1959م ليسجن أغلب مناضليها بعد خضوعهم للمحاكمة وكذا ملاحقة ممن تم التوصل وتحديد أسمائهم، وسط هذا الوضع ترك الناجون من قبضة العدو المدينة والتحقوا بالجبال، كمسؤول العمليات داخل المدينة السعيد بوخريصة وأحمد روابح، غير أن هذا لم يمنع من إعادة بعث النشاط الفدائي من جديد وتجنيد عناصر جديدة، إذ تم تكليف رابح حربوش والذي كان مكلفا

بالمالية من قبل مسؤولية إعادة تنظيم الخلايا الفدائية، إلى جانب عبد الكريم بعوش والحاج حفاظ عبد المجيد ومواصلة مسيرة الفداء داخل أسوار المدينة (غرزولي، 2009، صفحة 50) .

معالم العمل الفدائي داخل مدينة سطيف اتضحت بشكل جلي مع بداية مخطط شال العسكري أواخر سنة 1957م، وما صاحب ذلك من عمليات عسكرية كبيرة و واسعة وتجنيد قوات ضخمة وحملات تمشيط لمعاقل المجاهدين في الجبال والأرياف ، أين عرفت الثورة حالة من الاختناق والحصار أثر بشكل كبير على فعالية المجاهدين وتحركاتهم خاصة مع بداية عملية جيمال (gémalle) بالولاية الثالثة أواخر شهر جويلية 1959م والتي شملت مدينة سطيف من حيث التضييق والحصار (بوصفصاف، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف1954م-1962م، 1998، صفحة 164)، وهو ما استدعى مواجهة ذلك بتسطير إستراتيجية تثبت حضور الثورة دائما وخلق جو مستمر من الرعب والهلع في نفوس قوات العدو وإفشال مخططاته التي يراهن عليها (لونيسي، 2015، صفحة 34)، ومن هذا المنطلق شكلت المراكز الحضرية ومراكز تجمع الأوروبيين في المدن على غرار مدينة سطيف قواعد خلفية للاستعمار الفرنسي من شأن استهدافها من قبل الفدائيين ترجيح المعادلة وموازين القوى لصالح الثورة التحريرية، رغم إجراءات الرقابة الشديدة التي صاحبت المخطط على أمل عزل الثورة والحد من نشاط المجاهدين عبر إنشاء مناطق محرمة وفتح المحتشدات وتشديد الرقابة على المراكز والتضييق على تحركات الأشخاص، هذا وظلت العلاقة والتواصل بين الخلايا الفدائية بالمدن ووحدات جيش التحرير بالجبال والمراكز قائما ومنسجما وهو ما نلمسه بالنسبة لمدينة سطيف، فهيكلة التنظيم كما سبق وأشرنا إليه كان من الولاية الأولى(أوراس النمامشة) لتخفيف الضغط عليها وعلى باقي المناطق، في حين مثلت هذه الأخيرة ملاذا للخلايا الفدائية المتابعة داخل المدينة مثلما حصل للعناصر الفدائية التي أكتشف أمرها في سنة 1959م وتلتحق بالأوراس، الشيء الذي يبرز وحدة الثورة ونجاحها يكمن في تناسق الأدوار والمهام، هذا وتباينت العمليات الفدائية بمدينة سطيف خلال الثورة التحريرية (1954م-1962م)من سنة لأخرى حسب الظروف والمعطيات المتحكمة في ذلك ، وهو ما يمثله الجدول التالي :

-جدول يوضح تطور العمليات الفدائية بمدينة سطيف 1954م-1962م.

السنوات	1955	1956	1957	1958	1959	1960	1961	1962
عدد العمليات	7	55	42	58	7	21	80	8

يوضح الجدول تطور العمليات الفدائية بمدينة سطيف لاسيما بعد تشكيل الخلايا الفدائية الأولى بداية من سنة 1956م، أين عرفت العمليات الفدائية داخل المدينة منحنى تصاعديا نتيجة الفعالية التي أظهرها الفدائيون والتنظيم المحكم الذي خضع له، وبداية من سنة 1959م عرفت هذه الأخيرة تراجعا نظرا لتفكيك الخلايا الأولى من قبل السلطات الفرنسية وتداعيات مخطط شال العسكري الذي طال الولاية الثالثة والثانية خلال هذه الفترة، لكن ورغم ذلك سجلنا تنفيذ 7 عمليات خلال هذه السنة في تحد للإدارة الاستعمارية وقواتها(بوصفصاف، مدونة الفداء إبان الثورة التحريرية الجزائرية بولاية سطيف1954م-1962م، 2007، صفحة 198)، حدة العمليات الفدائية تزايد خلال السنوات الأخيرة للثورة خاصة سنة 1961م أين عرفنا تسجيل 80عملية فدائية استهدفت قوات العدو ومراكزه، حملت رسالة مباشرة على حضور الثورة الدائم وزيادة الضغط على فرنسا خلال هذه الفترة التي عرفت تقدم في المفاوضات بين الطرفين، كما برزت كذلك على الساحة نشاط منظمة اليد الحمراء الإرهابية التي شكل تصفية أعضائها والحد من أعمالها ضرورة تستوجب على الفدائيين تحقيقها كلما سنحت الفرصة لذلك (تواتي، 2010، صفحة 173)، هذا وقد رفعت قيادة جبهة التحرير التحدي في مجاراة الاستعمار الفرنسي وسياسته من خلال توسيع أو نقل العمل العسكري إلى التراب الفرنسي أين خضع إلى تنظيم محكم من قبل فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا عبر تنشط الخلايا التي أربكت السلطات والحكومة الفرنسية بعملياتها الفدائية في المدن الكبرى كباريس وليون ومارسليا مساهمة بذلك في اختراق الحدود وتهديد الاستعمار في أرضه(amiri, 2004, p. 52) .

5-خاتمة:

أمام الموقع الإستراتيجي والتنظيم الإداري الذي وضعته قيادة الثورة للمنطقة كان لزاما على مجاهديها أداء المهمة بنجاح، وإثبات ذاتهم من خلال الأدوار والمسؤولية التي ألقيت عليهم تماشيا والمرحلة الجديدة للجزائر في الصراع مع العدو ومخططاته السياسية والعسكرية لإفشال المسار الثوري وهدافه.

أبانت مدينة سطيف بنشاط خلاياها الفدائية عن مسؤولية كبيرة في تحقيق إستراتيجية الثورة، وإحداث توازن ضد المخططات الفرنسية وقواتها العسكرية، كما عبرت المدينة عن حضورها الدائم بما فرضته من منطق العمليات الفدائية والتي حملت رسائل عدة تصب بمجملها في صالح الثورة التحريرية وطموحات الشعب نحو الحرية والاستقلال، كما كان لإضراب الثمانية أيام نتائج هامة في تعزيز الثقة بين الشعب الجزائري وقيادة جبهة التحرير، ومن جهة أخرى النتائج الإيجابية التي حققتها القضية الجزائرية على المستوى الخارجي.

إن الأسس القويمة والمتينة التي قام عليها التنظيم الفدائي بالمدينة جعله لا يتزعزع أما السياسة الفرنسية ومخططاتها، فرغم اكتشاف الخلايا الفدائية الأولى له وملاحقة عناصرها، إلا أنه استطاع استئناف نشاطه في إطار النضال التحرري على المستوى المحلي وتكييفه مع الوضع الوطني وتطلع الجماهير الجزائرية.

أظهر الفدائيون بمنطقة سطيف أو الجزائر عامة عن عزيمة كبيرة في الرفع من مستوى العمل العسكري عملا بقرارات قيادة الثورة في مجاراة التطورات الميدانية والترتيبات الإستراتيجية المعدة لذلك، كما كان للحضور الشعبي والتجنيد الجماهيري خلف الثورة وقيادتها عاملاً إيجابيا في تحقيق الأهداف المسطرة، كما سمح باستمرارية الثورة وبنسق عال رغم السياسات الاستعمارية التي رامت إلى إفشال هذا المشروع الثوري

قائمة المراجع:

أبو بكر حفظ الله. (2008). هيكلة جيش التحرير في الداخل بعد مؤتمر الصومام 20اوت1956م. مجلة البحوث والدراسات ، الصفحات 207-220.

أحسن بومالي. (1985). إستراتيجية الثورة في مرحلتها الاولى1954م-1956م. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

التقرير الجهوي للولاية الأولى لأحداث الثورة التحريرية1959م-1962م. (1988). المنظمة الوطنية للمجاهدين.

التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية1959م-1962م. (1988). المنظمة الوطنية للمجاهدين.

الربيع غرزولي. (2009). الصامتون تكلموا...شهادات تاريخية. الجزائر: دار الثقة.

الملتقى الوطني لكتابة تاريخ الثورة. (1984).

دحمان تواتي. (2010). منظمة الجيش السري بين الحقيقة والنعش1961م-1962م. الجزائر: مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع.

رابح لمطاعي. (2014). أسوار التاريخ (المجلد 2). الجزائر.

رابح لونيسي. (2015). العقيد عميروش وعملية الزرق. الجزائر: دتر همومه.

سفيان لوصيف. (2018). التسليح في ناحية سطيف خلال الثورة التحريرية وإشكالية الإمداد. الجزائر: مخبر الدراسات في الثورة الجزائرية.

سمير كرم. (1969). إستراتيجية العمل الفدائي. مجلة الآداب ، الصفحات 171-175.

عبد الكريم بوصفصاف. (1997). جهاد المرأة الجزائرية بولاية سطيف وتضحياتها الكبرى 1954م-1962م. الجزائر: منظمة المجاهدين لولاية سطيف.

عبد الكريم بوصفصاف. (1998). حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف1954م-1962م. الجزائر: دار البعث.

عبد الكريم بوصفصاف. (2007). مدونة الفداء إبان الثورة التحريرية الجزائرية بولاية سطيف1954م-1962م. الجزائر: منظمة ومديرية المجاهدين لولاية سطيف.

عبد الله مقلاتي. (2017). الإستراتيجية العسكرية لجيش التحرير الوطني بين العمل الفدائي وحرب العصابات. المجلة التاريخية الجزائرية ، الصفحات 43-61.

علي كافي. (1999). مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946م-1962م. الجزائر: دار القصبة للنشر.

محمد الطاهر الزبيري. (1984). الثورة في عامها الأول. الجزائر: دار البعث.

مديرية المجاهدين لولاية سطيف.

مقلاتي عبد الله. (2017). الإستراتيجية العسكرية لجيش التحرير الوطني بين العمل الفدائي وحرب العصابات. المجلة التاريخية الجزائرية ، الصفحات 43-61.

منشورات متحف المجاهد لولاية سطيف.

amiri, l. (2004). la bataille de france. paris: chihab édition.

saadi, y. (1997). la bataille d'aler. algérie: casbah édition.